علم لقد جمع الفضائل شخصه فأعجب لجمع حاصلٍ فى مفردِ

من قولها فى الوصف لديوان يسمى حلية الطراز:

هذه حلية الطراز أتت مـــن مصر تزهو باللؤلؤ المنظـــوم

حلية للعقول لا حلية الوشى وكنز المنطوق والمفهوم

وقالت فى جواب رسالةٍ:

يا نسمةً من أرض وادى النيل وردت فاطفت بالسلام غليلى

هى نسمة من روح أكرم روضةً يحيى شذاها روح كل عليلِ

ومن عجيب ما أتت به قولها تاريخًا لإنشاء جمعية خيرية فى سوريا:

وكذاك قال الله فى تاريخه من يرحم المسكين يقرض ربه

ولها من المنظومات والتواريخ كثير وقفت عند هذا الحد من ذكر بعضه، فاسأل للشرق أن يتم عليه نعمته فى هذه الأيام بكثيرات يهتدين بنور تلك النجمة اليازجية التى خلدت لها ذكرًا جميلاً وكفاها فخرًا بأنها امرأة فاقت الرجال وبارت الغربيات فى أنبل مجال.

لحضرة الكاتبة الفاضلة الآنسة استير ازهرى فى بيروت

"الفتاة"

أهلاً بزايرةٍ وافتنا ترفل بحلل أبهى من استبرق خوى وأجمل من ديباج صنعاء وتزدهى بحلى ما ازدهت بمثلها حسناء، وهى الفتاة أتتنا سحرًا تعطر أرجاءنا بعبير أذكى من الورد والخزام، وتنثر علينا من الألفاظ آيات بينات حاكت السحر الحلال رقةً

ولطفًا وفاقت عقد الجمان بهاءً وحسنًا، فمن مقالات علمية وفصول تاريخية ونبذ أدبية وشذرات فكاهية صدحت حمائم الفصاحة على أغصان سطورها، وشدت ورقاء البلاغة عليها أن «حى على الفلاح» فلم تبق حاجة فى نفس يعقوب وعليه فلا بدع أن أقبلت علينا تجر أذيال السؤدد تيهًا وإعجابًا، وتسحب أثواب الفخار تدللاً واختيالاً.

كيف لا وهى فريدة عصرها ويتيمة دهرها جاد علينا الزمان ولطالما كان بها ضنينًا وتكرم، وكم كان بالنفس لها من اشتياق وحنين بل كان مطلعها لدينا مطلع الأعياد، أجل إنها الضالة التى كنا ننشدها، والمنارة التى كنا نبحث عنها لنستضئ بنورها ونأمن شر العناد وغوايل السير فى ظلمة طالما أغشيت على أعيننا ومنعت عنا سبل الرشاد والهدى. أما الآن فيحق لنا التباهى بها على من سلفنا من النساء اللواتى ذهبن ولم يتركن إلى الخلف إلى ما هو دون النزر اليسير من الآثار التى تخلد الذكر وتبقيه، هذا ولا عتب عليهن بذلك ولا تثريب إذ لم يكن بينهن من ضاهت هندنا الفاضلة عملاً وإقبالاً عليه وضارعتها نشاطًا وإقدامًا إليه، ولا غرو فى ذلك فإن الأغصان على أصولها تنبت، فإن من قرأ فقرة من تأليف والدتها المرحومة الطيبة الذكر لا يلبث أن يقول أن هذا الشبل من ذاك الأسد أو ليست هى من قيل فيها:

كانت لها التقوى كأبهى حلـــة وصنيع أيديها أجل خضابهـا

وروت سماحة وجهها عن قلبها وبدت معارفها بطى كتابهـــا

فأنعم به أصلاً وأكرم به فرعًا، ولا تعجب إن فاز الصوب بالسبق، فقد فاز به الغيث من قبل وأجمل به من وفى ودود قام بإتمام مشروع قضت به الفقيدة المبرورة الآثر مدة من العمر بين الدفاتر واليراع.

فكيف لا نستقبل فتاة فاضلتنا على الرحب والسعة، ونحلها منا القلوب فضلاً عن الصدور موازرين إياها أدبيًا وماديًا كى تعم فى البلاد، وتنتشر فى كل من القطرين السورى والمصرى جاعلات رياها مضمارًا نتبارى به، ومقامًا نحث إليه مطايا الأفكار

ونسوق إليها خطرات أفكار وسانحات رداح غاديات.

وفى الختام أسديكِ مولاتى عاطر ثنائى وأمحضاك أخلص التهانى، لما بلغته من المقام الرفيع بين بنات جنسكِ لا زال بدر طلعتكِ مشرقًا فى مطالع القبول زاهيًا فى سماء الفضل بالغًا من دهره غاية المأمول.

ولحضرتها أيضًا خطاب تلته فى جمعية باكورة سوريا فى بيروت.

"خطبة تنشيط"

أيتها السيدات الفاضلات

لقد مر على قلمى حين من الدهر، وهو فى زوايا الأحجام منزوٍ وفى خبايا الإهمال محتجب، اعترافًا بقصوره وإقرارًا بنزر مادته، ولم أكن لأظهره إلى عالم الوجود ولو لم تنكر من بانتدابه لأن يلقى عليكن بضاعة مزجاة لم يروجها سوى لطفكن الباهر وعليه، فإنى استهل كلامى بتأديتكن الثناء الجميل والشكر الجزيل، كيف لا وقد اخترتنى لموقف طالما تاقت إليه نفسى وصبت خصوصًا بعد تلك الهدنة التى أرتنى عيانًا ما للباكورة من النفع العميم والفضل الشامل عملاً بقول الشاعر:

لا يعرف الصحيح قيمةً لما كان من الصحة حتى يبتلى

بل معاذ الله أن تبلى الباكورة أو يعتريها تغيير إن لها أنصارًا من أهل الغيرة العلمية والنجدة الأدبية ممن يبذلون فى سبيل تقدمها النفس والنفيس، ولا يضنون بكل ما عز لديهم وهان فى ذلك القصد علمًا منهم أن بتقدمها رفع شأنهم وإعلاء قدرهم. نعم إننا لا ننكر على الباحث فى تاريخها بعض فتور أرخى عليها سدوله حينًا من الدهر كما يرخى الليل المدلهم ظلامه الحالك، ولكن إن هو إلاَّ استعداد لإقدام وعمل ينزلانها من النشاط روحًا جديدًا ويقمصانها من الحياة ثوبًا قشيبًا. ولنا بحميتكن